الياقوت والمرجان
فيما اتزن من القرآن

للعلامة سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه

تحقيق ذ محمد الراضي كنون
الإدريسي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على الفاتح الخاتم و آله و صحبه و سلم تسليما

الياقوت والمرجان
فيما اتزن من القرآن[1]

أنشد ابن عربي في الفتوحات:

كتاب فيه ما فيـه بديع في معانيـــه
إذا عاينت ما فيه رأيت الدر يحويه[2]

مقدمة

لا يخفى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد نزه الله ساحته مما تقوله عليه أعداؤه من كونه مجنونا أو كاهنا أو ساحرًا، ونَحو ذلك مما يريدون به حط قدره العلي عند من لم يعرفه من العرب الذين عاصروه ودعاهم للهدى وبَلَغَتْهُمْ دعوته، فكانوا إذا سمعوا بأنه مجنون أو ساحر أو كاهن وغير هذه الأوصاف تنفر نفسهم قبل الإجتماع به من الإذعان له وقبول ما جاء به من الحق، حتى إذا اجتمعوا به تحققوا بأن ما يشيعه عليه أعداؤه مجرَّد افتراء عليْه، وقد كان زعماؤهم يعترفون بأن كلامه ليس بكلام كاهن ولا بشعر شاعر[3]، ولا زال يروى عنه ويتلى

[1]- هو من عداد مؤلفاته التي كتبها إبان شبابه بمدينة فاس، حاول فيه أن يتتبع بعض الآيات القرآنية الموافقة للميزان العروضي، لكنه لم يتمه، ولو أتمه لكان نافعًا في بابه، غير مسبوق، وقبل أن أوقف يراعه عن إتمامه أدبًا مع القرآن الكريم، ومخافة الإساءة لشيء من نصوصه وأدبياته.
وكان رحمه الله كثير الإحتجاج بقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، ردًا على من طعن في قوله تعالى، تبت يدا أبي لهب، زاعما أنه من الشعر، لأنه على وزن (مستفعلن مفاعلن) فأجابه بقوله: اعلم أنك لو اعترضت الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيرا، ومستفعلن مفاعلن، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا، ولو أن رجلا من الباعة صاح من يشتري باذنجان؟ فإنه في الحالة هذه يتكلم بكلام في وزن (مستفعلن مفعولات) وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر، ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام، وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرًا.

[2]- أنظر الفتوحات المكية، للشيخ ابن عربي الحاتمي 4: 411 الباب 274 في معرفة منزل الأجل المسمى من العالم الموسوي

[3]- إشارة لقوله تعالى: وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين، ولقوله تعالى: وما هو بقول شاعر. وفي هذا الموضوع يقول بعض كبار العلماء: لو كان فصحاء العرب من قريش وغيرهم يعتقدونه (يعني القرآن الكريم) شعرا ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم لبادروا إلى معارضته، لأن الشعر مسخر لهم مسهل عليهم، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب والإقتدار اللطيف، والمعرفة التامة بالأعاريض المحصورة المألوفة، والحق أنهم لم ينسبوه إلى الشعر بالمعنى المتداول، ولكن نسبوه على أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من أهل صنعة الشعر، والشاعر كما يقولون هو الذي يفطن لما لا يفطن له غيره، وإذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه في رأيهم أقدر.

ما جاء به والعارفون للكهانة والعالمون بالشعر والسّامعون لذلك يقرون بأن ذلك خارج عن مهيع الكهّان والشعراء.

فكل ما نطق به من كلامه أو كلام ربه لا دَخل له في حيز الشعر، ولا يسمّى شعرًا بوجه ولا بحال، ولو اتزن بميزان الشّعر الخصوصي من أي بحر من أبحره الستة عشر والفنون السّبعة[1] التي ابتدعها المولدون من أدباء الأندلس ومن نحا نحوهم، فكل ذلك إن اتزن بميزانه لا يسمّى شعرا قَصَدَ نظمه أو لم يقصد، ونحن لا نعترف في المتزن من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه ليس بمقصود له، ولا يخدش في وجه تنزيهه عن أن يكون شاعرا قصد وزنه، ولا يسمى من قال كلاما فاتزن منه في خلله بيت مثلا بشاعر، ولو قصد وزنه، لعدم ارتباطه بالقافية، ولربما كان غير تام المعنى باستقلال ما اتّزن منه حسبما سبقت الإشارة إليه، وسنوضح ذلك.

وقلما كلام تكلم به حتى غير العارف بالشعر يخلو من متّزن، ويعْرف هذا من يزن مطلق الكلام بميزان العروض[2]، فإنه يجد فيه مما اتزن أبياتا وأشطارا من تلك الأبحر مَا لا يخطر ببال المتكلم به حال التلفظ به أو بعده إلا بعْد التفطن له، فلا يقال لمن تكلم به شاعر إلا إذا كان شاعرا بكل معْنى الكلمة، ليصدق على شعره حده، كما أن من أنشد ما أنشأه غيره من أبيات الشعر لا يسمى شاعرا، إلا إذا قال ذلك من عندياته، فحينئذ يسمى شاعرا، ويقبح كثيرا أن ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم الجهل بمثل المعلقات[3]، ومثلها مما يتناشده .

[1]- الفنون السبعة حسب المفهوم العربي هي أنواع القصيدة، أي المواليا، والكان كان، والقوما، والدوبيت، والسلسلة، والموشح، والزجل، وتتميز كلها بتأثرها باللغة العامية وتنوع القافية.

[2]- علم العروض: هو علم أوزان الشعر العربي وبحوره وتفعيلاته. ابتكره العلامة العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، وبهذا العلم يعرف المستقيم والمنكسر من أشعار العرب، والصحيح من السقيم، والمعتل من السليم.

[3]- المعلقات هي قصائد جاهلية، بلغ عددها السبع، أو العشر على قول، برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح إلى أن عدت من أبدع ما بلغنا عن العصر الجاهلي من آثار أدبية، وسميت بالمعلقات لأن العرب استحسنوها وكتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة، وهذا ما ذهب إليه العلامة ابن عبد ربه في العقد الفريد وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما

نحمد الله الذي أنزل القرآن على عبده سيدنا وَمولانا محمَّد القائم بحق شكره وحمده، فَبَلَّغَ صلى الله عليه وسلم الرسالة وصدع بما أمر به على وفق مَا يرضي المولى الذي لا ينبغي الحمْد إلا له، وقد رفع الله شانه، وأرغم أنف مَن شانه، حيث جاء بما لم يجئ به غيره من المعجزات الباهرات، وخصوصا معجزة القرآن.

دامت لدينا ففاقت كل معجزة　　　من النبيئين إذ جاءت ولم تدم[1]

فلم يستطع أحد ولا يستطيع أن ياتي بسورة من مثله[2]، بل بآية مثل آيته في سلالة المبنى، وبلاغة المعْنى، فهو السّهل الممتنع، والمجال المتسع، الذي تسابقت حلبات الأعلام لالتقاط درره، ناشرين أعلام التحقيق في تفسير آيه وسوره، وكلما جدوا في السباق وجدوا أنفسهم واقفين في مبادئ سيرهم، وَمَا لغاية معانيه من لحاق، وقد أخذ كل ذي فن من فنون ما أثمرت فيه رياض أفنانه، وَسقته حياض عرفانه، وما من عالم كيف ما تطاول علمه في أوج التحقيق، إلا ويطأطئ برأسه عندما يرى من آياته ما يبهره من الحسن المشتمل عليْه مما لا يحتاج فيه لتزويق.

وقد عصم الله نبيَّه من التصنع في الخطاب، والتكلف في إنشاء مقالاته في كتاب أو جواب، بل هو وحي يوحى، تقتبس من أنواره يوحى، ولَيس بشاعر ولا كاهن ولا ساحر، لا بل السحر الحلال من ألفاظه يسبي العقول، والشعْر المعنوي من دره منقول، وليكون جامعا لما افترق من المعَارف البيانية، والفنون الجنانية واللسانية، حتى يكون مستوفيا لما انطوت عليه آية ما فرطنا في الكتاب من شيء[3]، اشتمل على ما اتزن بميزان العروض في الأبحر المختلفة، فاقتبس منها الشعراء آيات في تراكيب نظمهم الموزون، فهي جوْهر مصون، ومع اتزانها باتزان الشعر فليست بشعر، لخروجها عن حده الفني، كما أشرت لذلك في شرحي لأرجوزة ابن عمنا الأعْلى المرحوم محمد بن الطيب سكيرج[4] لدى قوله:

الشعر ما قصدتَّ فيه وزنا　　　وكان ذا قافية ومعنى

---

[1]- هو البيت الحادي والتسعون من قصيدة البردة للشيخ سيدي محمد بن سعيد البوصيري

[2]- إشارة لقوله تعالى: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وهي آية صريحة تثبت عجز العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم عن معارضة القرآن والإتيان بسورة من مثله، وبما أنهم عجزوا وثبت عجزهم وهم سادة البيان وملوك الفصاحة، فهذه معجزة من معجزات القرآن، وقد ثبتت واستقرت وصارت فكرة مفروغ منها لا تحتاج إلى إثبات.

[3]- سورة　　　الآية

[4]- سبق التعريف به في الجزء الأول من هذا الكتاب

فالقافية[1] بمعنى مقفية اسم مفعول، أو بمعناها الموافق لاسم الفاعل لا بدّ أن تكون في بيتين، فالبيت الواحد ليس بشعر قطعا[2]، وسنبسط القول في ذلك في التمهيدات في هذا الموضوع بحول الله، ولقد تتبعت ما اتزن من القرآن طبق ما ستقف عليه بحول الله في هذا التويلف، فلم أجد من هذا المتزن ما يزيد على بيت أو بيت ونصف موافق لما قبله في البحر[3]، ومخالف له في الوزن، وجمعتُ منه بالتتبع ما يفرح به المقتبس من مشكاة أنواره، والمقتطف من روضة أزهاره، فيروق نظمه بما يضمنه من ذلك فيه، ويكمل مقصده في الغرض من الاقتباس الذي يوافيه وبه يستوفيه، فتتبعت الكتاب الكريم سورة سورة، ووزنته آية آية، فجاء بحمد الله هذا المجموع طبق مسمّاه الياقوت والمرجان فيما اتزن من القرآن، محتويا على ما هو تام المعنى، أو ما يكون متمما لما يضاف له، ولربما سقت المتزن الذي اقتطف منه غصن تجرد به عن تحويل الإسناد بما يضاف له من التراكيب القولية، مثل ما جاء في صدر الفاتحة متزنا من بحر المجتث، وهو الحمد لله رب[4]، ولا يصح أن يكون من المجزوء من بحر الرجز، والشطر الثاني ما اتزن منه بعده، وهو العالمين الرحمن[5]، بإظهار همزة آل منه، فهي لا يجوز إظهارها في الوصل، فاحتيج فيه إلى إضافته ليظهر المتكلم عن لفظ العالمين، فهو هنا متوقف في الإقتباس على نحو ضم المتكلم، كما توقف الموصول على صلته في ما اتزن من بحر الرجز، وهو: يخادعون الله والذين[6]، فذكره بدونها لا يتم إلا بتحويل الإسناد بزيادة أو نقص أو إفراغ المعنى في قالب آخر، مثل أن يتتم الناظم ذلك فيما اقتبسه فيه مثل أن يقول في ذم من يذمهم من السفهاء:

يخادعون الله والذينا قد آمنوا ويهدمون الدنيا

ومثله في حقهم قوله تعالى: قيل لهم لا تفسدوا في الأرض[7]، فهو جملة بين شرط وجواب اتزنت في بحر الرجز، فإذا أضيف إليها ما يتم به المعنى ظهرت في صورة مؤثرة في الذم، فيقال فيهم مثلا:

وهم إذا جاءوا بغير المرضي قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

---

[1]- القافية: هي المقاطع الصوتية التي يلزم تكرارها في أواخر أبيات القصيدة، وتشتمل على خمسة أحرف وهي: الروي، الوصل، الخروج، الردف، التأسيس، وقلما تجتمع هذه الأحرف الخمسة في قافية واحدة.

[2]- ذهب بعض العروضيون إلى أن أقل ما يطلق عليه اسم الشعر ثلاث أبيات. وقال بعضهم: ويسمى البيت الواحد: مفردًا. والبيتان: نتفة، والثلاثة إلى ستة أبيات: قطعة، والسبعة فصاعدًا: قصيدة، وكل ما عدا ذلك فليس بأبيات شعرية.

[3]- البحر عند العروضيين هو وزن البيت الشعري وما يقع فيه من زحاف في حشوه أو علة في عروضه وضربه، وقد سمي بذلك لاستيعابه جميع أبيات القصيدة مهما بلغ عددها.

[4]- سورة الفاتحة. آية

[5]- سورة الفاتحة. آية

[6]- سورة البقرة. آية

[7]- سورة البقرة. آية

وربما تجنبت كثيرا من هذا المتزن وأعرضت عما يوقع في محذور بحذف طرفي المتزن، إلا ما كان له توجيه من معنى لطيف مستنبط، مثل ما اتزن في أول سورة البقرة من بحر الرجز، وهو قوله تعالى: إن الذين كفروا سواء[1]، فهذا المتزن وإن كان يخرج باقتطاعه عن طرفه التالي فيؤخذ منه معنى بديع في الاقتباس، وهو أن الكفار في كفرهم وبغضهم للنبي والمومنين سواء، بمقتضى قوله تعالى: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم[2]، فاتزانه يقضي بحمله على معنى غير ما سيقت له الآية الشريفة في اللفظ المعجز من كون الكفار لا يعبئون بما أنذرهم به الرسول أو ترك إنذارهم به، فهم لا يؤمنون به، وفي قياس هذه الجملة تقول مثلا:

إن الذين كفروا سواء قد أضمر للمومن العداء

كما أني ربما أسوق ما اتزن من ذلك ولو احتيج في اتزانه إلى حذف حرفه الأول أو أكثر، مثل ما اتّزن من بحر المجتث، كقوله تعالى في السورة المذكورة: لهم عذاب عظيم[3]، ومثله أيضا لهم عذاب أليم[4]، فهو يصلح للاقتباس، ولربما اعتبرت في المتزن بعض القراءات السبع، كما اتزن في مجزوء المتدارك قوله تعالى في رواية قالون: في قلوبهم مرض[5]، وقصدي بهذا التويليف إظهار سر من الأسرار اللطيفة التي أشرت لها تحت جوهر قوله تعالى: ما فرطنا في الكتاب من شيء[6]، على أنه قد بالغ ابن العربي المعافري في أحكامه وغيره في إنكار كون وقوع المتزن في القرآن، وسرد من ذلك آيات عدَّها مما اتزن من القرآن، باحثا مع من عدها من المتزن، وقد بحثنا في بحثه بما ستقف عليْه في المقدمة بحول الله، فأقول:

تنبيه

إن جلالة الإمام ابن العربي المعافري رحمه الله تقضي بعدم الاكتراث بمن عارضه في مقاله أو اعترض عليْه عند من يعرفها، وما أدراك ما هو، إلا أنه لما كان كل كلام فيه المردود والمقبول، إلا كلام الرسول، ساغ لنا أن نبين هنا بعض ما حصل له من الأغلاط فيما هو متزن من القرآن بميزان العروض، الذي لا يقبل زيادة حرف أو نقصه عند الفتى الذي يدري هذا الفن، فيفرق بين الشعر وغيره، كما يقول الخزرجي[7] رحمه الله:

---

[1]- سورة البقرة. آية

[2]- سورة البقرة. آية

[3]- سورة البقرة. آية

[4]- سورة البقرة. آية

[5]- سورة البقرة. آية

[6]- سورة

[7]- عبد الله بن محمد الخزرجي، الملقب بضياء الدين، عروضي من أعلام الأندلس، نزل بالإسكندرية، وتوفي بها قتيلا سنة 626 هـ- 1229م. من مؤلفاته: الرامزة في علمي العروض والقافية، تعرف بالخزرجية نسبة إليه. أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 4: 124.

وللشعر ميزان يسمى عروضه   بها النقص والرجحان يدريهما الفتى[1]

ولقد أراد ابن العربي هنا أن يزاحم علماء هذا الفن وليس من أهْله، فهو وإن كان له اليد الطولى في العلوم الكبيرة الشأن، فيده في هذا الفن قد قصرت عن تناول ما اتزن في هذا الميزان في جل ما بسطه في سورة الشعراء، وخاض في بحورهم من غير تروّ، كما يرى ذلك من اطلع عليْه من أهل هذا الفن، وبنقل كلامه هنا ينجلي الحق في الصورة، ولم يبق كلام في اتزان ما اتزن من غالب الآي المذكورة بين آي كل سورة، قال رحمه الله ورحمنا معَه: ...

في الفتوحات: وصل وأما أسرار الإشتراك بين الشريعتين فمثل قوله تعالى: أقم الصلوة لذكري[2]. وهذا مقام ختم الأولياء. ثم قال: ومن رجاله اليوم الخضر وإلياس، وهو تقرير الثاني ما أثبته الأول من الوجه الذي أثبته. أنظر عدد 239 من الجزء الأوّل، وهو كلام نفيس جدّا.

[1]- هو مطلع المنظومة الخزرجية المسماة بالرامزة، وقد أقدم على شرح هذه المنظومة غير واحد من العلماء والأدباء الكبار، كالشيخ زكرياء بن محمد الأنصاري، وسمى شرحه لها: فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية، وأيضا العلامة محمد بن أحمد الأزنيقي وعنوان شرحه لها: الإشارات الحائزة لشرح حل الرامزة، ومن شراحها أيضا العلامة محمد بن محمد الإيحي العثماني الشافعي، وسمى شرحه لها برفع حجاب العيون الغامزة عن كنوز الرامزة.

[2]- أنظر الفتوحات المكية للشيخ ابن عربي الحاتمي 1: 446 الباب 24 في معرفة جاءت عن العلوم الكونية إلخ..

البسملة

لا يصح أن تكون البسملة متزنة في سائر البحور الشعرية ولا أعاريضها وأضربها، ولَو كان وَرد تشطير المتدارك لزعم زاعم أنه بيت منه مرفل أو مذال بتشعيث[1] جميع أجزائها ما عدا الأخير منها، ولَو لم يكن فيها الترفيل الإدالة لزعم زاعم أيضا أنه شطر من تام هذا البحر، فتعين عدم اتزانها في هذا البحر ولا في غيره.

فائدة: ذكر العلماء أنه لا يقاس في الكتابة على خطين خط المصحف وخط العروض[2]، ولا يسوغ كتابة آية إلا على ما كتبت عليه في المصحف الكريم، إلا إذا قصد بها غيْر القرآنية أو للتعليم، أو لقصد آخر، ولذلك قالوا: لا يسوغ تقطيع حروف آية أو بعضها أو قلبها لا في الكتابة ولا في النطق، فالبسملة مثلا لا تكتب مقطعة الحروف ولا معكوستها، فضلا عن النطق بها معكوسة، لأنها تستحيل بالانعكاس إلى معنى آخر، وَمَا لا يستحيل بالانعكاس عند علماء البديع معدود من أقسامه، مثل قول الله تعالى: ربك فكبر[3]، وقول الشاعر:

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم[4]

ولم يعد أرباب الفن البديعي ما يستحيل بالانعكاس من الأقسام المعدودة فيه، لكون الإبداع إنما هو منوط بما لا يستحيل، وَقد رأينا علماء سر الحرف والأسماء والأوْفاق ذكروا خواص فهمه لتقطيع الحروف وعكسها على مقتضى فن التكسير عندهم، واعتبار ذلك عندهم مما يدل على جَوازه في سائر الأسماء والآيات، ولم أر أحدا تجرأ على رسم ذلك بخط العروض، وإني لأستغفر الله في كتب البسملة بهذا الخط لإفادة من لا يعرفه، ولا نعود لتقطيع آية أو بعضها بعدما بيناه هنا، فأما رسمها على أجزاء التفعيل من بحر المتدارك[5] مثلا، فهكذا:

بسمل لاهر رحما نررحيم

---

[1]- التشعيث هو حذف أول أو ثاني الوتد المجموع في نحو (فاعلن) فتصبح فالن أو فاعن، فينقل إلى فعلن.

[2]- قال ابن درستويه في مصنفه المعنون ب (الكتَّاب) خطان لا يقاسان، خط المصحف لأنه سنة، وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه.

وفي الموضوع نفسه يقول بعض كبار العلماء: خط العروض هو خط جرى على إثبات ما أثبته اللفظ وإسقاط ما حذفه، فالقاعدة في الكتابة العروضية أن كل ما ينطق به يرسم، سواء وافق ذلك القواعد الإملائية أم لا، وكل ما لا ينطق به لا يرسم وإن اقتضت قواعد الإملاء كتابته، ويترتب على هذه القاعدة زيادة حروف لم تكن تكتب تبعًا لقواعد الإملاء، وحذف حروف اقتضت قواعد الإملاء كتابتها.

[3]- سورة

[4]- البيت للشاعر العربي ناصح الدين الأرجاني، قاله ضمن قصيدته الميمية التي تقع في 67 بيتا، وقد افتتحها بقوله:

لأي وميض بارقــة أشيـم ومرعى الفضل في زمني هشيمُ
أبيت وخدُّ ليل الشعر مني بكفٍّ الصبــح من شيبـــي لطيم

[5]- المتدارك: من البحور العروضية، يتألف من ثمان تفعيلات وهي:

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

وسمي بذلك لأن الأخفش تداركه على الخليل.

فعلن فعلـــن فعلـن فاعـــلان

ورسمها على النطق بالمتحرك والساكن في التقطيع هكذا:

بسمــل لاهــر	رحمــا نــررحيـــم
1010 1010	1010010 1010

التصريع هو إلحاق العروض بالضرب، فهو من مراعاة أول الشيء بما تأخر بعده، وقد يقال حيث ادعي هنا التصريع، وهو جائز عندهم، فلا يبعد أن يكون التشعيث في هذا المتزن سابقا لإطلاقهم في جوازه في جميع أجزائه، ولم نقف على مثال من هذا القبيل حتى تتحقق لنا شعرية هذا المتزن، فتحقق لديك أن البسملة غير متزنة، لا كلها بجعلها شطرا من العروض الأولى التّامّة التي ضربها مثلها وهو

جاءنا عامر سالما صالحا بعد ما كان ما كان من عامر

والتشعيث مع الإذالة أو الترفيل لم يذكروا لهما مثالا، وإنما ذكروه مجردا، وبيته:

ما لي مال إلا درهم أو برذوني ذاك الأدْهم

ولا شك أن الترفيل[1] أو التذييل[2] لم يسمع في سائر الأعاريض التامة، ولا في ضروبها في سائر البُحور، إلا ما أنشدوه في الطويل عن قول مسلم بن الوليد:

سل الناس إني سائل الله وحده وصائن عرضي عن فلان وعن فلانْ[3]

وقد خالف فيه سائر شعراء العرب وما أراه إلا رخم فُلان في غير النداء للضرورة، أو حذف الألف اقتصارا، ولم يصح نظيره عن العرب، وكذلك لا يصح ادعاء كون البسملة مشطرة، لأن التشطير لم يقولوا به في هذا البحر مطلقا، وكان من الأولى في حقنا أن لا نذكر البسملة من قبيل المتزن على ضرب من أعاريض هذا البحر، حيث إنه لم يذكر أهل الفن مثالا له، ولكن ذكرناها تبركا بالكلام عليها، أداء لحقّ الفن منها وحقها مِن الفن، مع ما قضت به من استطراد ما لا يخلو عن فائدة، وبالله التوفيق.

---

[1]- الترفيل: هو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع، نحو (فاعلن) فتقلب النون ألفا. وتزيد سببا خفيفا، فتصير (فاعلاتن).

[2]- التذييل: هو زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع، نحو (مستفعلن) فتصير (مستفعلنن) فينقل إلى (مستفعلان).

[3]- البيت للشاعر مسلم بن الوليد الأنصاري، المعروف بصريع الغواني، وهو أحد جلة شعراء العصر العباسي، وهو البيت الثامن من قصيدته اللامية التي يفتتحها بقوله:

سَرَتْ بمـــلامٍ حيـــن هوَّمَ عُذَّالي ملامة لا قالٍ ولا متبــــدِّلِ
رأت رجلًا خاضَ الغنى ثم أعقبت حوادث تفني عفة المتجمل

وقد يقال إن المتزن من البسملة في هذا البحر إنما هو بسم الله الرحمان فقط، فهو من الضرب الثاني لعروضه الثانية المجزوءة الصحيحة، وهو مجزو مذال، وبيته عندهم:

هذه دارهم أقفرت   أم زبور محتها الدهور

إلا أن التشعيث أو القطع قد دخل أجزاء تفعيل هذا المتزن، وظاهر أمثلة ضروب هذه العروض أن التشعيث غير داخل فيها إلا مما سوغوه في العروض الأولى عن هذا البحر، وبيته:

ما لي مال إلا درهم   أو برذوني ذاك الأدهم

من غير تذييل ولا ترفيل، ولنا بحث في تمثيلهم للضرب الأوّل من العروض الثانية بقولهم:

دار سعدي بشحر عُمان   قد كساها البلى الملوان

مذالا بسكون النون، وبعضهم أورده مرفلا بتحريكها بالكسر مع إشباع على عادة الوقوف على الروي، فقد قالوا أنها صحيحة، وأنت تراها إذا قطعتها مخبونة مع وجود الترفيل أو التذييل فيها، فصار فاعلن فيها فعلاتن أو فعلان، فأين الصحة المنصوص عليها فيه، وقد أجاب المحقق الدمنهوري[1] في حاشيته الكبرى على متن الكافي[2] عن هذا الإيراد بأن الخبن[3] وما معه إنما هو عارض في عروض هذا الضرب لأجل التصريع، وهو سائغ عندهم، وظاهر زيادة الزمخشري لمثمن هذا البحر عروضين مخبونة وضربها مثلها، ومشعة وضربها مثلها، مع عدم جواز الجمع بين السلامة والخبن والتشعيث أو اثنين منها في أعاريض أو أضرب القصيدة الواحدة، وهو في هذه الزيادة مخالف لغيره، لكون مَا ذكره

---

[1]- محمد الدمنهوري المصري الشافعي، من مدرسي الجامع الأزهر بمصر، له مؤلفات كثيرة منها: الإرشاد الشافي على متن الكافي في العروض والقوافي، توفي سنة 1288 هـ- 1871م. أنظر ترجمته في معجم المؤلفين، لكحالة 9: 301-302. معجم المطبوعات، لسركيس 883-884.

[2]- متن الكافي في علمي العروض والقوافي، للعلامة أحمد بن عباد بن شعيب القنائي القاهري الشافعي، المعروف بالخواص، توفي سنة 858 هـ- 1454 م.

[3]- الخبن: هو حذف الثاني الساكن، يدخل على العروض والضرب معًا، وهو غير لازم فتصبح العروض المحذوفة وضربها المحذوف (فَعِلُنْ) بدلا من (فاعلن) أما الضرب (فاعلاتن) فيصبح بعد الخبن (فَعِلاتُنْ) ويكون الخبن التفعيلات الآتية: فاعلن، فاعلاتن، مستفع لن، مستفعلن، مفعولات.

داخل في العروض الأولى عندهم لنصهم على جواز دخول ذلك فيها كما حقق العلامة الصبان[1] ذلك في شرحه على لاميته[2].

ومن مشطور[3] السريع[4] أو من مشطور الرجز قوله: ملك يوم الدين، من العروض الرابعة للسريع، وهي نفس الضرب، وبيته:

يا صاحبي رحلي أقلا عذلي

وتفعيله مستفعلن مفعولن. وأصل مفعولن هنا مفعولات دخله الكسف، وهو حذف آخر الوتر المعروف فيه، ويصح أن يكون من الرجز دخله القطع وهو حذف آخر الوتر المفروق فيه، ويصح أن يكون من الرجز إذا دخله القطع، وهو حذف آخر الوتد المجموع وإسكان ما قبله، ولا يكون القطع في الأسباب، ولله در القائل:

يا كاملا شوقي إليه وافر	وبسيط وجدي في هواه عزيز
عاملت أسبابي لديك بقطعها	والقطع في الأسباب ليس يجوز

والأولى أن يكون المتزن هنا من بحر السريع، لأن القطع في مستفعلن في الرجز[5] يلزمه تغيران: حذف آخر الوتر وإسكان ما قبله، وأما على كونه سريعا فإنما يلزم تغير واحد وهو حذف تاء مفعولات، والذي يؤدي إلى تغير واحد أحسن مما يؤدي إلى تغيرين. هكذا قال العلامة الصبان في البيت المذكور حاكيا عن بعضهم أنه جعله من مشطور الرجز، وحكى في كلامه على الرجز اتفاق العروضيين على جواز قطعه مع السلامة في ضرب الأرجوزة المشطورة إجراء للعلة مجرى الزحاف كقوله:

والنفس من أنفس شيء خلقا	فكن عليها ما حييت مشفقا
ولا تسلط جاهلا عليهَا	فقد يسوق حتفها إليها

---

[1]- محمد بن علي الصبان، المشهور بأبي العرفان، من أعلام مصر، عالم بالعربية والأدب، له مؤلفات كثيرة. توفي سنة 1206 هـ- 1792م. أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 6: 297. معجم المؤلفين 11: 17-18.

[2]- لامية الصبان وتسمى بالكافية الشافية في علمي العروض والقافية، قال في مطلعها:

لك الحمد يا رب وصل مسلّما على المصطفى والآل من أحرزوا العلا

[3]- المشطور هو البيت الشعري الذي حذف شطره أو مصراعه، وتكون فيه العروض هي الضرب، ويكون في الرجز والسريع.

[4]- السريع: من البحور العروضية، يتألف من ست تفعيلات، ومفتاحه كالتالي:

بحر سريع ما له ساحل مستفعلن مستفعلن فاعلن

أما مشطور السريع فتفعيلته كالتالي: مستفعلن مستفعلن مفعولان، وهو نفس مشطور الرجز.

[5]- الرجز من البحور العروضية، يتألف من ست تفعيلات، ومفتاحه كالتالي:

في أبحر الأرجاز بحر يسهل مستفعلن مستفعلن مستفعلن

قال: وأكثر المحدثون استعمال ذلك في الأراجيز المشطورة المزدوجة، والذي يظهر أن كل شطرين من ذلك شعر على حديه، وأنه ليس كله قصيدة واحدة، وإن جاوزت الأبيات سبعة لأنهم لا يلتزمون فيها رويا واحدا ولا حركة واحدة إلى آخر كلامه، وَعَلَيْه فالشطر الواحد ليس بشعر إلا بضميمة شطر مثله إليْه، وإن كان الشطر في حد ذاته نفسه بيتا وَاحدا، لا في الرجز ولا في السّريع في هذا المشطور منهما، وإنما يفرق بين كون القصيدة من السريع أو الرجز بالتزام أبيات السريع على وثيرة واحدة وبازدواجها في الرجز، فتقول في اقتباس الآية المذكورة على ميزان الرجز:

مالـــك يــوم الدين	هو الذي يحيينـــي
فإنــــه يعيـــــدنـــا	من بعد ما يميتنـــا
أعـــــدمَ ثم أوجـدا	فالمنتهى كالمبتـدا
مالي سوى معيني	ملك يوم الديــــن

ولك أن تقول في اقتباسها من ميزان السّريع:

والتين والزيتــون	مالي في تحصينـي
من كل ما يرديني	سوى الذي يهديني

مالـــك يوم الديـن

قد اتزن فيها من بحر المتدارك قوله تعالى في سورة الناس "قل أعوذ برب الناس"[1] عَلَى القول بجواز دخول التشعيث في هذا البحر مطلقا في حشوه وعروضه وضروبه، فيكون شطر بيت من الضرب الأول المجزو المخبون المرمَّل وبيته:

دار سعدي بشحر عُمانِ   قد كساها البلى الملوانِ[2]

والتشعيث في المتزن دخل في نفس الضرب المذال، ووزنه فعْلان الذي صورته مركبة من الباء الأخيرة من رَبِّ متصلة بالنَّاس، ولا أحب رسم تقطيع هذه الآية أدبا مع خط المصحف المقدم على رسم الخط العروضي، وهو سطر بيت تام المعنى، لا ينكر اتزانه من هذه الحيثية، وقد جاء مخبونا في جزءي تفعيله الأولين، وهو المطرد فيه، وحكى بعضهم شذوذ وروده سالما، مع مراعاة نقل الحركة للساكن الصحيح قبلها في قل أعوذ، وهي قراءتنا الورشيَّة.

ومن المتزن أيضا قوله تعالى ملك الناس إله[3]، فهو شطر بيت من العروض الثانية المجزوة الصحيحة على مثال:

---

[1]- سورة الناس، الآية 1
[2]- أنظره في ص
[3]- سورة الناس، الآية 2.

مقفرات دارسات مثل آيات الزبور [1]

إلا أنه قد يقال في المتزن هنا بمراعاة قرآنيته لا يكون هنا كلاما تامّا فَجَرٌّ ملك والوقوف على متحرك الروي لكونه وصفا للرب، وإنما يتم الكلام لو كان ملك مبتدأ وإله مضاف لياء المتكلم، فبنى عليه نظم هكذا مثلا:

ملـك النَّاس إلهـي دون شـك وارتيـاب
اطلب التَّوفيق منه في سلوكي للصوابِ

ومثل هذا قولي:

مَالك الخلق جميعـــا ملك النَّاس إلاهي
ليس في الكون سواه ملك دون اشتبـاه

ولك أن تنصبه أو تبقيه على خفضه وَتُوصله بكلامك الموزون معه، مثل أن تقول على الأوَّل:

إنني في العفو أرجو ملك الناس إلاهي
فهو ذو فضل عظيم دون حد و تناهي

وتقول مثلا على إبقائه محفوظا:

كل فضل وارد مـن ملك الناس إلاهي
وَالنبي وَاسطـة فيـه مِن دون تنـــاهي

ومع هذا الاقتباس في الأخير هنا فلا يتم الأمر فيه لأن جوهر اللفظ القرآن في قولنا إلاهي قد تغير بإضافته للمتكلم فلذلك خرج عَن الشعرية بتحويل الإسناد وبكونه شطر بيت وقد قلنا بعدم شعرية البيت التام فأحرى شطره وإن وافق في الوزن فهو غير شعر ولا يصح أن يكون قوله تعالى يوسوس في صدور [2] متزنا من بحر المضارع [3] لأن مفاعيلن فيه وهو من دونها جزء التفعيل الأول منه تجيء فيه المراقبة بين كفه وقبضه، فلا يدخله الخبل باللام وبته عندهم

---

[1]- من شواهد بحر الرمل في صورة مجزوءه السالم، سواء في عروضه أو ضربه، ورسم تفعيلته هي:
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

[2]- سورة الناس، الآية 5.

[3]- المضارع من البحور العروضية، يتألف من أربع تفعيلات، ومفتاحه كالتالي:
تعد المضارعات مفاعيل فاعلاتن

دعاني إلى سعاد   دواعي هوى سعاد[1]

تنبيه: القبض في اصطلاح الفن حذف السَّاكن الخامس من السبب في نحو مفاعيلن هنا، وَالكف حذف الساكن السابع منه، والخبل باللام جمعهما فيصير مفاعلن، وَهذا في هذا البحر ممنوع لكونه لا بد من مراعاة المراقبة فيه، وهي كون الجزء هنا إما أن يقبض فلا وكف، أو يكفو لا يقبض، وهذا هو المانع من اتزان قوله تعالى: يوسوس في صدور، ولم يصح أن يكون من هذا البحر، فليس بشعر قطعا.

ومن المتزن أيضا: قوله تعالى: من شر الوسواس[2]. فقد جاء في وزن شطر بيت من عروض مجزوء المتدارك على القول بدخول القطع أو التشعيث فيه مطلقا عروضا وَضربا وحشوا، وقيل في الحشو شاذ، والمفهوم مما نقلوه عن الزمخشري من زيادته لمثمن المتدارك عروضين، الأولى مخبونة لها ضرب مثلها، والثانية مشعثة لها ضرب مثلها عدم جواز الجمع بين السلامة والخبن والتشعيث، أو اثنين منهما في أعاريض أو أضرب القصيدة الواحدة، وهو ينافي ما شوهد كثيرا من خبر بعض الأعاريض وتشعيث بعضها الآخر، قاله العلامة الصبان وَإذا كان قوله في المثمن ففي المجزوء عدم جوَاز تشعيث الحشو وغيره، وهو المفهوم من أمثلة الاصطلاح في عروضه. الثانية المجزوة الصحيحة، فلها ضربان الأول مثلها وبيته:

قف على دارهم وابكين   بين أطلالها والدمن[3]

والثاني مرجل وبيته:

دار سعدي بشحر عُمان   قد كساها البلى الملوان[4]

وَعليْه فإن ما ذكر في هذه السورة من هذا البحر فيه نظر، ولا يصح أن يكون قوله تعالى فيها من شر الوسواس متزنا من العروض المجزوة، لأنها مخبونة صحيحة في بيتها معا، وَاللفظ المذكور فيه التشعيث فلا يصلح أن يكون من هذه العروض ولا من ضربيها، لا المجزو الصحيح مثلها ولا من المرفل، لأنه غير صحيح، ولا مرفل طبق ما هو واضح.

---

[1]- من شواهد بحر المضارع، ورسم تفعيلته كالآتي:
مفاعيلن فاع لاتن   مفاعيلن فاع لاتن

[2]- سورة الناس، الآية 4.

[3]- من شواهد بحر المتدارك في صورته الثانية، وهي عروض صحيحة مجزوءة وضرب مثلها.

[4]- من شواهد بحر المتدارك في صورته الثالثة، وهي عروض صحيحة مجزوءة، وضرب مجزوء مخبون مرفل، أي على رسم هذه التفعيلة:
فاعلن فاعلن فعلاتن   فاعلن فاعلن فعلاتن

من الياقوت والمرجان فيما اتزن من القرآن:

ولا تسأل عن أصحاب الجحيم[1]
حسدا من عند أنفسهم[2]
لن يجدوا من دونه موْئلا[3]

أنشد النيسابوري:

مرتع ظلــم الــورى وخيم	يا صاحب اللب والحجـارة
لا تظلم الناس واخش نارا	وقودها الناس والحجـــارة

وأنشد:

أيحسب الظالم في ظلمه	أهمله القـــادر أم أمهـــلا
ما أهملهم بل لهم موعـد	لن يجدوا من دونه موئلا

البسملة:

لا تتزن في بحر من بحور الشعر، ولو كان في بحر المتدارك جزوّ أو تشطير لاتزنت في المشطور المذال، مع دخول تشعيث في بعض الأجزاء، فتكون في التفعيل هكذا:

بسملْ لاهر	رحما نررحيْم
فعلــن فعلـن	فعلــن فاعلان

وبيت السّريع المكسوف المشطور وهو:

يا صاحبي رحلي	اقلا عذلي

يشبه مصرع الرجز في الضرب المقطوع التام وبيته عندهم:

[1]- سورة البقرة، الآية 119
[2]- سورة البقرة، الآية 109
[3]- سورة الكهف، الآية 58

القلب منها مستريح سالم   والقلب مني جاهد مجهود[1]

وحكى بعضهم لوافي الرجز عروضا مقطوعة مثلها، وأنشدوا عليه:

أنا بن حرب ومعي مخراقي   أضربهم بصارم رقراق[2]

يا طالبــا سر البسملة   بها كشــف الكآبـــهْ
إلى الدواة وحرف الـــــــــــقلم الذي صنع الكتابـهْ
وأقم لحرف الباء قـــا   متها بمنزلة الخطابـهْ
ولسينهـــا فرق ودو   رميمها تلق الإصابّـهْ
حسن جلالتهـــا ولّلـــــــــــــــرحمان مَدّ بلا غرابهْ
جود لديها اسم الرحـــــــــــــيم إذا أردتّ به ثوابـهْ
فالسر في هذا لمـــن   يبغي حسن الإجابـهْ

وَفيه كفاية.

وإظهار حروفها على وفق ما تضمه الخبر المتقدم، وقد تكرر عندي خطه فلم أر حرفا منه مطموسا ولا معوجا حسبما رأيت والله الموفق.

من الياقوت والمرجان:

من بحر الرجز:
وسع ربي كل شيء علما[3]

---

[1]- البيت للشاعر الشهير ابن عبد ربه الأندلسي، قاله في ضمن خمسة أبيات ونصها

قلب بلوعات الهـــوى معمــــــود   حي كميت حاضر مفقـــود
ما ذقت طعم الموت في كأس الأسى   حتى سقتنيه الظباء الغيـــد
من ذا يداوي القلـــب من داء الهوى   إذ لا دواءٌ للهوى موجــود
أم كيف أسلـــو غـــادة ما حبهـــا   إلا قضاء ما لـه مـــــردود
القلـــب منــها مستريـــح سالـــــم   والقلب مني جاهد مجهود

[2]- ذكره الطبري في تاريخه 3: 64 بما نصه: عن شعيب، عن سيف، عن قدامة الكاهلي، عمن حدثه أن عشرة إخوة من بني كاهل بن أسد يقال لهم بنو حرب، جعل أحدهم يرتجز ليلتئذ ويقول:

أنا ابن حرب ومعي مخراقي   أضربهم بصارم رقـــــراق
إذ كره الموت أبو إسحـــــاق   وجاشت النفس على التراقي
صبرًا عفاف إنه الفراق

وكان عفاف أحد العشرة، فأصيب فخد صاحب هذا الشعر يومئذ فأنشأ يقول:

صبرًا عفاف إنها الأساوره   صبرًا ولا تغررك رجل نادره

[3]- سورة الأنعام، الآية 80.

إن لم يصبها وابل فطل[1]
فيه هدى للمتقين[2]
على هدى من ربهم[3]
إن الذين كفروا سواء[4]

وإني فيه أتجنب غالبا ذكر المتزن المخل بالمعنى الخاص أو العام، إلا ما كان له توجيه في معنى مستنبط في وجه بديع، مثل قوله تعالى في أول البقرة: إن الذين كفروا سواء. فهو وإن كان جوهر الآية منظوما بما بعده في خطاب الرسول، ولكن يؤخذ منه معنى بديع، وهو أن الكفار في كفرهم وبغضهم سواء، فهو محمول على معنى غير ما سيقت الآية له في كون الكفّار لا يعبئون بما أنذرهم به أو لم ينذرهم، فهم لا يؤمنون، إلا ما كان ناقصا نقصا لا يتم بما يساق قبله أو بعده مثل قوله: "يخادعون الله وَالذين" فهو وإن اتزن في بحر الرجز، ولكن صلة الموصول لا بد منها، فذكره بدونها لا يحمل إلا بتحويل الإسناد بزيادة أو نقص أو قلب المعنى في قالب، مثل أن يتمم الناظم فيقول مثلا في ذم من يذمهم:

يخادعون الله والذين قد آمنوا ويهدمون الدينا

فهو في الهجاء من أشنع ما يقال.

ومثل قوله تعالى: قيل لهم لا تفسدوا في الأرض[5]، فيصلح للاقتباس بإضافة مثل هذا الشطر:

وهم إذا جاءوا بغير المرضي قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

كما أني لم أسق غالبا ما نقص حرفا للاتزان مثل قوله تعالى في أولها:
لهم عذاب عظيم
لهم عذاب أليم

وإن كان يصلح للاقتباس، وإنما أذكر ما أذكر من ذلك لنكتة ربما أبينها معه في الذكر، ولربما أعتبر قراءة أحد القراء بذكر روايته، منبها عليها بذكر حرفه هنا في الاقتباس.

مجزوء المتدارك بقراءة قالون
فاعلن فاعلن فعلن
في قلوبهم مرض[6]

---

[1]- سورة البقرة، الآية 265.
[2]- سورة البقرة، الآية 2.
[3]- سورة البقرة، الآية 5
[4]- سورة البقرة، الآية 6.
[5]- سورة البقرة، الآية 11.
[6]- سورة البقرة، الآية 10.

قالوا إنما نحن مصلحون[1]

البقرة:
المتزن منها:
فيه هدى للمتقين[2] (مستفعلن مستفعلات)
على هدى من ربهم[3] (متفعلن مستفعلن)
لهم عذاب عظيم[4] (مستفع لن فاعلاتن)
يخادعون الله[5] (متفعلن مفعولن)
لهم عذاب أليم[6] (متفعلن فاعلاتن)
قيل لهم لا تفسدوا في الأرض[7] (مستفعلن مستفعلن مستفعلن)
ذهب الله بنورهم[8]
لكم الأرض فراشا[9] (فعلاتن فعلاتن)

قالوا سكنتَ وَما في سكونك اليومَ مظمر
فَلو تحركت في القوم
كنت فيهم متصدر

فاتحة الكتاب:
الحمْد لله رب العالمين[10] (بنط)
الحمد لله رب[11] (مجثث)
ملك يوم الدين[12] (رجز)

البقرة:
ذلك الكتاب لا ريب فيه[13] (مديد)
فيه هدى للمتقين (رجز)

---

[1]- سورة البقرة، الآية 11.
[2]- سورة البقرة، الآية 2.
[3]- سورة البقرة، الآية 5.
[4]- سورة البقرة، الآية 7.
[5]- سورة البقرة، الآية 9.
[6]- سورة البقرة، الآية 10.
[7]- سورة البقرة، الآية 11.
[8]- سورة البقرة، الآية 17.
[9]- سورة البقرة، الآية 22.
[10]- سورة الفاتحة، الآية 2.
[11]- سورة الفاتحة، الآية 4.
[12]- سورة الفاتحة، الآية
[13]- سورة البقرة، الآية 3.

ويقيمون الصلاة[1] (رمل)
على هدى من ربهم (رجز)
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون[2] (مجزو المتدارك)

[1]- سورة البقرة، الآية
[2]- سورة البقرة، الآية